ديوان الكاشف

للشعر الان في مصر ابتسامة جميلة تبشر بحياة عالية صافية ومستقبل منير سعيد وهو تابع في نموه لخطى الشعب في طريق المدنية والعمران بل هو ثمرة الحرية التي وجدت فيه استعداداً للانتفاع بها والاستفادة منها فاشتدت العزائم وتطلعت النفوس الى الكماليات فسالت القرائح وانتعشت رياض الآداب وامتلأت بالطيور الجميلة تذكر تارة بمجد بائد وتبشر تارة بسعد عائد ناقلة عن كل امر خبرا تاركة في كل قلب اثرا وكانت الصيحة الاولى «لصاحب الشوق» والثانية «للحافظ» وتبعهما كثيرون اخص بالذكر منهم شاعر القرشية بل شاعر الغربية احمد افندي الكاشف الذي كاد يدركهما في هذا المجال الرحيب بل الميدان الرهيب وهو كصديقه محرم اصغر منهما سناً واقرب منهما بصناعة النظم عهداً وما قرأت له شعراً متيناً جيداً الا في العامين الاخيرين وكان شكا اليّ قبل ذلك تعذر اسباب الاتقان عليه فاستدعيته اليّ فلمحت في وجهه الابيض المشرق مخايل النجابة وقرأت في عينيه آية الحنان والدعة والحب فيسرت له السبيل وامددته بطائفة من الكتب الثمينة وشجعته بكلمة فلم يمض شهر حتى ظهرت في شعره آثار التقليد والتكلف فنبهته الى ذلك التقصير ونهيته عنه فانتهى واظهر ذكاء غريباً في ترقيه السريع وتوخيه اساليب الابتكار والاختراع في كل مقصد وغرض كما يدري عشاق هذا الفن الآخذون به المطلعون على دقائقه واسراره . ومن راجع الموسوعات وانيس الجليس والمصور والمؤيد وغيرها عرف ما انعم الله

على هذا الشاب من صفاء الذهن ولطف الروح ورقة الطبع وهو اول من عاب بدء الاماديح بالغزل الفاضح المخجل وظن بعضهم ان ذلك عجز منه ولكنه لما خاض في ذكر الحب والجمال في باب خاص بهما رجع لأثمه عن ظنهم واقتدى به اخوانه وسلكوا مسلكه

ويمتاز شعره بضخامة المعاني ومتانة العبارة وبراعة التعبير يأخذه الفكر بلا كد وتعب وقلما ارتكب ضرورة او كرر لفظاً في قصيدة وهو شديد التعلق بدينه كثير الغيرة على وطنه . ولقد اصابته نزلة في معدته على اثر سكرة شديدة يعلم خبرها قراء شعره . فجاء العاصمة وعالجه الطبيب الشهير عبد بالكهرباء لانه كان يشكو آلاماً عصبية حادة واضطرابا في الدورة الدموية لم تفد فيها العلاجات بالعقاقير . وكان يكثر من زيارتي في هذه الاثناء وقد ذبل عوده وذوت نضارته وتغير طبعه وضاق صدره فكنت أواسيه بكلمات الحنان والرأفة فيردد قوله

لبلادي علي دين وما في ... قدرتي ان أفي بهذا الدين
ان يوماً لا انظم الشعر فيه ... لبغيض الى بني القطرين

* * *

ولقد رأيته يوماً جالساً في احد الاندية وامامه مجلة المجلات وقد وضع يده على جبهته كأنه في تفكير عميق وتأمل سحيق فاشفقت من حالته وسألته موضع خاطره . فاجاب احزنني كثيراً حريق ميت غمر وغيرها وقد نظم الشعراء في ذلك الخطب ما استطاعوا ولكن لم استطع ان اقبض على اليراع وامامي قصائد شوقي ومحرم وحافظ وصادق الرافعي ولكن لا افهم

منها شيئاً كأنها طلاسم لا اشعار عربية مألوفة وقد اطاعني بيت واحد نظمته وانا بين يدي الطبيب وهو

اهالي ميت غمر مصابي فيكم اشد واقوى من مصابي في نفسي

فانصرفت بعد ان خففت عنه آلامه وضربت له كثيراً من الامثال . ثم سافرت الى المانيا وقرأت في بعض جرائد مصر بشرى شفائه . وعاد فشكا الي كساد بضاعته وقعود القوم عن اعانته في اغراضه البعيدة العالية ورأيت شعره جاز العقبات التي كانت تعوقه فاصبح كالامثال بين المطلعين وسمعت عظيماً من عظماء الامة يتلو تأبينه التي نشرها في المصور ويشرح غوامضها لجلسائه معجباً بها فلم اجد انفع من جمع شعره وطبعه فاشرت عليه بذلك فتردد اولاً لضعف ثقته بنفسه وقلة اعتماده عليها فشجعته فاعلن عزمه على اصدار ديوانه في غرة شوال المقبل

* * *

فكان فرضاً علي ان اذكر للقراء بعض ما عرض علي من درره واهدى الي من غرره لعلي اوَدي له حق احسانه الي باعتداده بي واعتماده علي ولست بمعيد الى القراء ما نشره في الصحف ونكتني مختار لهم مما اختصني به ولم يودعه غير مكتبتي من ذلك قوله

أنسيت موعدك الذي اكدته لحبك الوافي الامين العاتب
قد كاد يقضي اليوم قومك لاهياً بجلال عيد واطراد مواكب
ولبثت انتقد الوجوه فلم افز فيها بطلعتك انتقاد الخاسب
فكأنها في ناظري دراهم مبذولة عرضت لازهد راهب

وقوله

يا صاحب اللحية الحمراء عابثة بها الرياح لقد اشبهت شيطانا
كأنما فمك المفتوح محتبساً فيه اللسان وقد حاولت تبيانا
مأوى لاخبث ثعبان تحيط به السنيران فاستوقفته فيه حيرانا

وقوله

كم جاهل نال مالاً بعد مترية فكان منه له بالاثم اغراء
فما تجلت له الدنيا بزينتها الا كما تتجلى للبغي حسناء

وقوله

يا غاويا كنت انهاه فيهزأ بي اما كفاك من الاخوان تبكيتا
ابكي على ذهب ضيعته سرفا وفضة في الهوى درًّا وياقوتا
القى كلانا نفيساً في التراب ولم اكن لاحزن لو لم تعدم القوتا

وقوله

الفتكم حتى كرهت محاذرا عليكم ملما ان اغيب وابعدا
على انني في القرب والبعد لم اكن لادفع عنكم حادثا جار واعتدى
كورقاء تخشى ان يلم بفرخها وقد بعدت عنه عقاب تصيدا
ولو ابصرته فاتكا بعد عودها به ما استطاعت ان تمد له يدا

وقال

لو كان لي من مال قومي كما لي من مديح بينهم يخلد
قضيت دين القطر مستخلصاً ابوابه من دائن يرصد
مالي سوى احسنت من اجرة يا كثر احسنت متى تنفد

وقال في احدى الازمات السياسية

يا آل عثمان قد اصبحتم هدفا ... لغالبين على الارزاق والقوت
تنازعا وان اشتد اختلافهما ... اوطانكم بين تخريب وتشتيت
فكيف تمسون يا قومي لو اتفقا ... مستوثقين بتأييد وتثبيت
فالبحر والبر ضاقا عن مرامهما ... واحيرة الليث بين الدب والحوت
فليت لي بقتالي كل مضطهد ... مالي بشعري من ذكر ومن صيت

وقال

ما اجهل الاب لو ربى ابنه ترفا ... ولم يكله لاستاذ واظلمه
يعطيه ما يشتهي اذ قام ينذره ... بالانتحار وكان الخوف ارغمه
أراه اشبه من يعطي المشعوذ اذ ... يجري دماء ابنه وهما ليرحمه

وقال

اتلومينني لتشبيهي الخدين بالنار والقوام بصارم
وبأس الجبال قلبك اذ اشكو وقدرق لي العدو المصادم
قد يعيب الحريص اجمل ما يهوى فراراً من حاسد او مزاحم
وهو عيب يغرى بحبك لو اعقل من كان ناجياً منك سالم

وقال

اي رحمى مني تريد وما ابقيت في مهجتي محلا لارحم
هل توهمت انني لست ادري ... بخوافيك حينما تتبسم
لك عفوي ولن ينالك حبي ... فمسير علي حب المذمم
ليس يحلو لي العداء ولكن فؤادي يأبى الصفاء لمن نم
ان حب الفتى عداه لامر ... انكروه على المسيح بن مريم

وقال

احباب قلبي اذكروا وعداً لذي ذمم ... يبدي الهيام بكم حيناً ويخفيه
يتلو البريد فيدري كل حادثة ... في الغرب والشرق دانيه وقاصيه
ولم يجد عنكم يوماً به خبراً ... فينثني وسعير الشوق يكويه
صلوا فتى لو جفاه الناس كلهم ... فشأنكم عن شؤون الناس يلهيه

هذا وعساه يجد من تنشيط الناصرين له واقبال الناشئين ما ييسر له طبع ديوانه في شهره المحدود بحسنه الموعود . اه

احمد زكي
الكاتب الثاني لاسرار مجلس
النظار بمصر

* * *

(الانيس) وقد اطلعنا على مقالة لصديقه الحميم الشاعر الكبير احمد افندي محرم تقريظاً لهذا الديوان وها هي بنصها

« اذا ذكرنا الكاشف الشاعر عرف الناطقون بالضاد اننا نذكر نابغة من افضل نبغاء الشعر في هذا العصر واطولهم فيه باعا واعلمهم باساليبه وفنونه يراعا . اعلن هذا النابغة انه سيصدر الجزء الاول من ديوان شعره الرقيق الحاشية المذهب الطراز في مقدمة وعشرين باباً . ولقد يكاد السامع ان ينكر على الناظم قوله اول وهلة لما علم من ضيق نطاق الشعر وعهد من انحصاره في ابواب لا تتعدى نصف مارسم شاعرنا سواء القديم منه والحديث وهؤلاء اكابر الشعراء وامراء القوافي من متقدمين ومتأخرين لم يسمع انهم رموا بما نظموه الى هذا الشأو البعيد ولا اجروا جياد قرائحهم في هذا

المضمار السحيق فلا ريب في ان ما اتى به نابغتنا انما هو معجزة من معجزات الشعر التي قصرت عنها الاقلام وحسرت دونها الافهام . فمن الابواب التي تعنيها — الطرق ودعوى الكرامة — التربية والتعليم — التاريخ والسياسة — الاخلاق والعادات — البدع والخرافات — اثم الخمر ونفعها — المدنية والعصر — هذه ابواب سبعة لم يطرقها طارق قبل هذا الشاعر الكبير فلا شك ان الشعر يستقبل ديوانه كما يستقبل الشيخ صباه والمقتر غناه ويسر به سرور يعقوب بفتاه . اما الثمن الذي حدده فقليل جداً على هذا الاثر النفيس وهو جود لا يجهه سوى تدفق ذلك الخاطر الفياض واما ترجيه فاذا لم يصدق فقل على الشعر والشعراء السلام

أيها اسعد

مضت لنا في اثناء هذه المجلة عدة فصول في تحديد السعادة وبيانها واختلاف الشعور بها حتى توصلنا الى الحيوان الاعجم فذكرنا شيئاً من سعادته ومقارنتها بسعادة الانسان وكان ذلك من قبيل الترجيح والاستنتاج

الا اننا ما ذكرنا شيئاً عن سعادة المرأة وقياسها الى سعادة الرجل مع ان ذلك لدى الظاهر مما يمكن معرفته والقطع به بسبب التفاهم بين الجنسين ولكنه لدى الحقيقة اكثر اشكالاً وغموضاً من معرفة سعادة الحيوان وقياسها الى الانسان على امتناع التفاهم بينهما

ولقد يبدو للباحث ان المرأة اسعد حالاً من الرجل وان شعورها

بالسعادة اشد من شعوره بها لما ركب في طبعها من اللطف والرقة ولاعفاء الطبيعة لها من المشاق المبرحة والاضطلاع بالاعباء الثقيلة فضلاً عن خروجها من اكثر التبعات الجسيمة . ولكن المرأة تنكر هذه الدعوى وقد يكون نكرانها صادقا وحجتها في ذلك انه ما وجد رجل قط يقول يا ليتني خلقت امرأة ولكن كل امرأة تمنى لو كانت رجلاً وهو ما يدل على ان الرجل حاصل على سعادة لم تسمح بها الطبيعة للمرأة

ومما تذكره المرأة من نقص سعادتها عن الرجل انه مهما ارخي لها من حبال الحرية ومد لها من عنان الانطلاق في القول والعمل فانها تعتبر اقل سعادة من الانسان وذلك لان حدودها تلبث اضيق من حدوده في حالات كثيرة فهي حين تكون فتاة كالغلام ويكون كلاهما لاهيين حاصلين على اتم مسرات الصغر والصبي يكون الغلام اوفر سعادة فهو يمرح مرحها ويلعب لعبها ويسر بكل ما به تسر ولكنه يكون زائداً عليها بمسرة الامل لانه منذ ما يبدو تمييزه وادراكه تبتدئ الآمال تجول في صدره بين علم يتخبه وصنعة يختارها وغنى يناله وشهرة يسمو بها الى مثل ذلك من جم الآمال وشتى الاماني التي يمكن ان تحقق له ولا تحقق للفتاة ولذلك يكون اشتغال صدره بالآمال مسرة اخرى فوق مسرة صباه على خلاف الفتاة التي لا مطمع لها في شيء من هذا واذا طمعت فانما تطمع ان يروق منظرها في العيون وان تتزوج ويكون زوجها غنياً الى مثل هذه الآمال المحدودة التي لا تنيل سعادة تعادل سعادة الرجل ولو حققت كلها

ثم يمشي الفتى والفتاة الى سن الزواج وينطلق كلاهما في معترك الحياة ولكن ميدان الفتى يكون اوسع ومجاله ارحب فهو يختار ويشقى ويسعى